مدينة الكوفة التي دعاها السريان عاقولا

فؤاد يوسف قزانجي

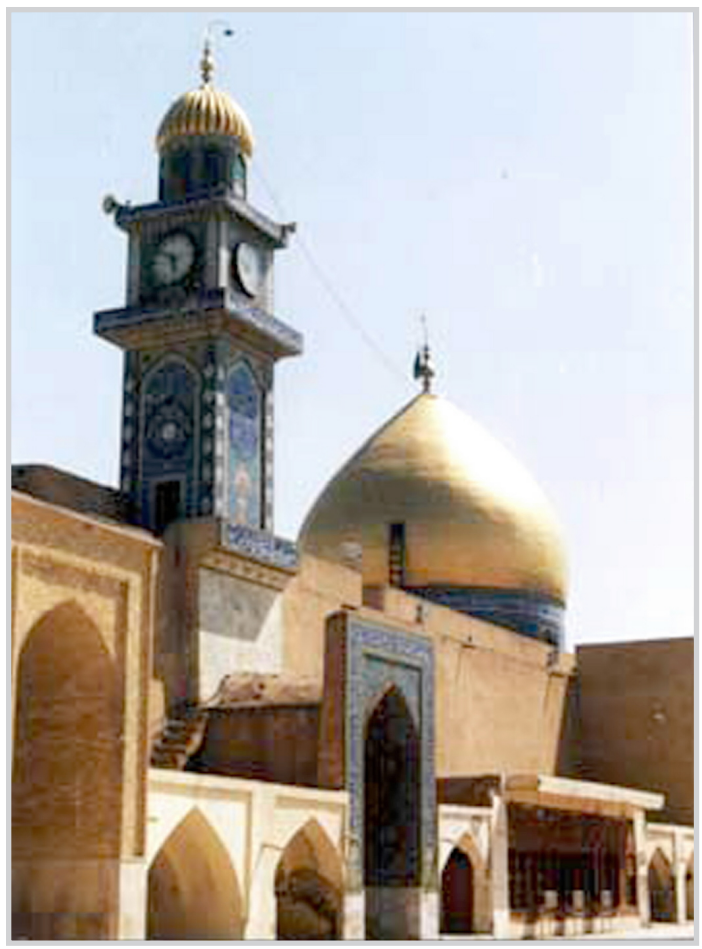

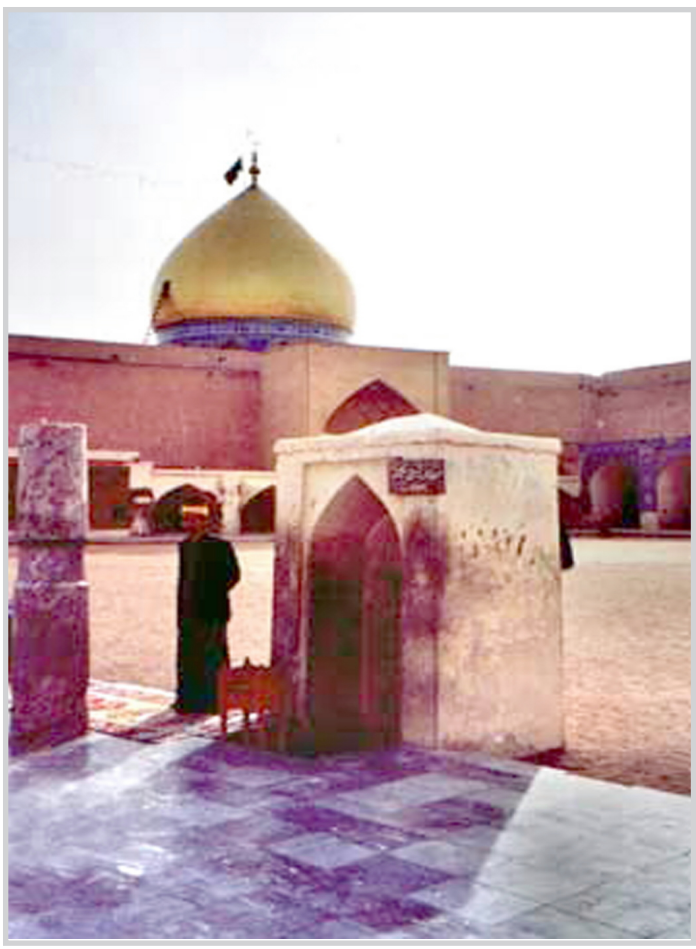

ورد اسم مدينة عاقولا كثيرا في المصادر السريانية، لكن لايعرف بالضبط متى شيدت بلدة عاقولا ؟ اذ قيل انها بنيت في ارض (الكوفة) على أنقاض مدينة فرثية بناها الملك ولكاش (فولكاش) الاول (٥١ -٨٧ م). واحيانا يرد اسم عاقولا ويقصد بها الكوفة او الكوفا. ويذكر المؤرخ ميخائيل الكبير في هذا المنحى: (ان القائد سعد قد عسكر بالقرب من مدينة الكوفة اي عاقولا.) مع العلم ان الكوفة لم تكن قد مصرت قبل فتح طيسفون اي في عام (١٧هـ - ٦٣٧ م). ونظرا لوجود آثار عشرة اديرة في ظاهر الكوفة فأن الباحث يتساءل هل يمكن ان تكون بلدة عاقولا قد بنيت بقرب الكوفة قبلها بزمن ثم طالها عمران الكوفة فأندمجتا معا بعد توسع مدينة الكوفة؟ ويذكر في هذا الصدد الباحث اديب نوار قائلا : ((كان في الكوفة اسقفان احدهما نسطوري والاخر يعقوبي، وكانا يسكنان في دار الروم لأن نصارى الكوفة كانوا يسمونها عاقولا بالسريانية.)) ونقل الباحث المذكور عن المستشرق لويس ماستيون قوله : ((انه وجد في العصر الاسلامي رسامان من اصول صينية وكانا يسكنان في سنة (٧٥ هـ) في مدينة (يا -كيو -لو) اي عاقولا وهذا هو الاسم السرياني للكوفة.)) اما الباحث اللغوي الاستاذ ابراهيم السامرائي فيذهب ابعد من هذا متسائلا : ((الم تكن الكوفة الحاضرة التي مصرها المسلمون مكان الحضارة الارامية القديمة (كوثا) او في جوارها ؟ ان الحاضرتين الاسلامية والآرامية كانتا في ارض بابل في سواد العراق كما يقول ياقوت وليس غريبا ان تكون حاضرة المسلمين قد تبدلت بالثاء فاء وهذا يحدث كثيرا في الاصوات السامية.))

وفي كتاب ماضي النجف وحاضرها للشيخ جعفر آل محبوبة، ان الكوفة كان يقال لها عاقولة او عاقولا. وذكر التاريخ السعردي لمؤلف سرياني مجهول ان الكوفة كانت تسمى عاقول قبل بنائها. وفي كتاب تقويم الكنيسة النسطورية الذي نشره بطرس عزيز، ان الكوفة كان يقال لها كوبا اي الشوكة. وفي دليل الراغبين ان كوبا بمعنى عاقول. والعاقول نبت ترعاه الابل. وكان الناس منهم يقول عن هذا الموضوع عاقولا ومنهم من يقول كوبا وبين (كوبا دكملا) بالسريانية وبين عاقول تشابه في الاصول. قد يكون بعض رجال الفتح الاسلامي حينما قدموا الى المنطقة قد سمعوا بهذه اللفظة فأطلقوا على البلدة التي مصرت كوفة، وهذا ليس ببعيد لتضارب الاراء في اشتقاق كلمة كوفة من اصلها العربي وفي سبب تسميتها.

ضمت الكوفة اكثر من عشرة اديرة معظمها حول المدينة بالاضافة الى كنيسة كبيرة هي كنيسة ام خالد. وكان الناس يقصدون تلك الاديرة ايام الاعياد المسيحية فتكون موضع تجمعات واحتفالات ولقاءات، وكانوا يسعون فيها للتقرب الى الله والصلاة له، او ينقطع الرهبان والنساك منهم فيها طوال حياتهم. وكان للاديرة كذلك دور صحي اذ اشتهر بعض الرهبان القادمين من الحيرة و جنديشابور في مزاولة الطب والتداوي بالاعشاب ومعالجة المرضى. كما كان للأديرة دور ثقافي في تعلم القراءة والكتابة او في تبادل وجهات النظر في الاديان والفلسفة وعلوم الاقدمين وخاصة اليونان.

كانت الاديرة قد امتدت حتى ظاهر الحيرة، وكانوا يحتفلون بالاعياد مع شمامسهم رافعين الصلبان والاعلام التي تمثل قبائلهم العربية القادمة اصلا من اليمن او البحرين او ميشان. ومن جملة اديرة الكوفة دير (بني مرينا) وموقعه عند النخيلة الذي اشتهر فيما بعد في حوادث معركة كانت بين اهل الكوفة والخوارج في يوم النهروان. وهناك دير بونا الذي كان في قرية بونا في ضواحي الكوفة. اما دير زرارة فكان محط شعراء المدينة. والموقع ينسب الى (زرارة بن يزيد من بني البكاء) وكانت زرارة تشتهر ببساتينها، ومن بين سكانها عدد من اليهود اشتهر منهم (بطروني اليهودي) الذي برع في الفلك والفأل. وقد ورد في تاريخ الجاثليق (احودما) ان دوره لم يقتصر على تنصر عرب بيت عربايا في الجزيرة، بل امتد نشاطه الى التنوخيين البدو المنتشرين بين الانبار والحيرة وعرب عاقولا وهم بعض سكان الكوفة. وقد مصرت الكوفة في ايام الخليفة عمر بن الخطاب (رض) في السنة التي مصرت فيها البصرة وهي سنة (١٧ هـ - ٦٣٨ م) وقد بنيت الكوفة على شكل دائرة وسميت بالكوفة التي تعني عند كثير من المؤرخين الفتلة او الاستدارة. وسماها عبده بن الطيب (كوفة الجند) قائلا :

ان الذي وضعت بيتا مهاجرة
بكوفة الجند غالت ودها غولُ

كان اسقف الكوفة في مطلع القرن الثامن جرجيس، وكان يصلي بالمسيحيين الذين كانوا من قبائل طي وعقيل وتنوخ، وعرف ايضا بأسقف العرب. وكان من المتضلعين في الفلسفة ووضع شروحا لبعض الاسفار المقدسة واسرار الكنيسة كما نظم القصائد الدينية وترجم كتاب (الادركانون) لأرسطو. ولعل المسيحيون قد لعبوا دورا في النهضة الفكرية التي شهدتها مدينة الكوفة مركز الخلافة الجديد. وكانت المناقشات المذهبية والدينية بين المسلمين تمتاز بالتنوع في التفكير والتوجهات، وقد انتشرت فيها فرقاً دينية متضاربة مثل السبأية والمرجئة والكيسانية التي تأثرت بفكرة عودة المسيح وانتقلت الفكرة بعد ذلك الى التقليد الاسلامي. الا ان ما يميز الابداع الكوفي هو ظهور الخط الكوفي الذي يدل على دقة في الرسم وكانت الخطوط المستقيمة متأثرة بالخط السرياني الاسطرنجيلي من حيث هيئته العامة المربعة. والمعروف ان العرب في بداية الاسلام يدينون للحيرة بمشاركتها الفعالة في الكتابة العربية. كما تأثر اهل الكوفة بحياة الرهبان فأسست الكوفة من مراكز الزهد والتصوف في الاسلام حتى ان بعض الزهاد الكوفيين قد لبسوا المنسوجات الصوفية الخشنة المشابهة لمسوح الرهبان. ومن بين الشخصيات التي برزت في تلك الانحاء هاني بن قبيصة بن مسعود الذي كان شريفا عظيم القدر ولعله كان موحدا او مسيحيا. كما بنى اول والي للكوفة خالد بن عبد الله القسري كنيسة قرب جامع المدينة سميت بكنيسة خالد او كنيسة ام خالد. وهو اول شخصية اسلامية يبني بيعة للنصارى في تاريخ الاسلام، والمعتقد ان ذلك يعود الى ان امه كانت مسيحية. ووردت عاقولا بأسم عاقولاء في (معجم البلدان). ووجد الحموي شعرا من اشعار بني مازن نقله عن خط ابن حبيب في شعر صاحب بن ذيبان المازني يخاطب مسلمة بن عبد الملك :

أمسلم انا قد نصحنا فهل لنا بذاكم
على أعدائكم عندكم فضل؟
حقنتم دماء الصلبتين عليكم
وجد على فرسان شيعتك القتل
وفاتهم العريان فسّاق قومه
فيا عجبا إنى البداءة والعدل؟
أقام بعاقولاء منا فوارس
كرام إذا عد الفوارس والرجل

ضمت الكوفة جماعات مختلفة من العراقيين لعلهم بقايا سكنة بابل وسلوقية وينبور وسبار، كما تمثل موصفا كان يرتاده ابناء القبائل العربية المسيحية، اشار اليها البطريرك مار دنخا الأول معربان تكريت في سيرة مار ماردوثا التي كتبها في بداية القرن السابع للميلاد. وكان المسيحيون في الكوفة قد عملوا بصناعة النسيج اضافة الى امتهانهم تجارة القوافل من الحيرة وشقاقة عبر الصحراء الى مملكة حطرا (الحضر) وكانوا عنصرا فاعلا في تبادل البضائع بين العراق والجزيرة العربية ايضا. ويقدم لنا احد المؤرخين مشهدا يصور طريقة توديع النصارى لموتاهم، اذ كانوا يشيعونهم وهم في طريقهم الى المقبرة حيث كان اشراف القوم يتقدمهم اسقف المدينة والقساوسة الذين يسيرون وهم يتلون الصلوات رافعين الصليب. وكانت مقبرة النصارى قد اشتهرت فيما بعد بأسم (ناووس الكوفة)

كما ضمت الكوفة مجتمعا يهوديا يقدر بستة الاف يهودي سكنوا قرب مرقد الملك (يهويكين) الباني لضريح حزتيال احد ابناء اليهود والمسبيين الى بابل في العصر البابلي -الكلدي، وقرب ضريح الشبان الثلاثة الذين احرقوا في الاتون والذين يتذكرهم ولاريب قدماء الكوفيين (٨).

ومما زاد في اهمية الكوفة في نظر المسيحيين ان الخليفة عمر بن الخطاب اشار الى اخراج المسيحيين من مدينة نجران في اليمن والتي كانت مدينة مسيحية منذ القرن الرابع الميلادي، لذلك هاجر معظم المسيحيين الى جهة الكوفة وقرب الكوفة اقاموا لهم قرية بنوها من القصب واللبن بأسم القرية النجرانية او نجرانة بقرب نهر (ابان) وانشأوا لهم ديرا بأسم دير نجران وهو غير دير نجران في اليمن ودير نجران في بصرى. وعندما اصبحت الكوفة عاصمة الخلافة في عهد الامام علي (رض) وقدم الكوفة وجاءه وجهاء القوم من نصارى نجران وطلبوا منه ان يسمح لهم بالعودة الى وطنهم في اليمن والى كنائسهم وحقولهم، لكن الخليفة لم يوافق لأنه لم يرد ان يخالف سلفه فأضطروا الى البقاء.

وفي مصدر آخر ذكر ان النجرانية اصبحت فيما بعد حيا من احياء الكوفة يقع بين المسجد الجامع ودار بني ادور ويؤكد هذه الواقعة ياقوت الحموي قائلا : ان اهل نجران نزلوا قرية وابتنوا لهم كنيسة دعوها (الاكيراح) ثم شخصوا الى الخليفة عمر وتظلموا اليه فكتب الى المغيرة في امرهم، فرجع الجواب ان وقد مات الخليفة فأنصرف النجرانيون الى تلك القرية على نهر ابان واستقروا فيها.

المصادر
١- ميخائيل الكبير، غريغوريوس، تاريخ مارميخائيل الكبير، ترجمة صليبا شمعون.
حلب : دار ماردين، ١٩٩٦ (ج٢ ص ٣١٢)
٢- ابو نوار، اديب (الكوفة كوفتان.....) الزمان الدولية العدد ١٨٩٣ (٢٢/٨/ ٢٠٠٤) ص١٤

ذاكرة

سككيات ورستميات

جودت جالي

سككيات

مهندس شريف

السكك من أقدم المؤسسات في العراق وتأريخها، لا بل تأريخ ظرفائها وحده، يستحق موسوعة مستقلة، وربما أعتبرها بعض أهلها مجتمعا قائما بذاته داخل المجتمع العراقي، فيه حركة نضالية عريقة بحد ذاتها ومناضلوها لايعدون، ومنها خرج عدد لايستهان به من الفنانين الرواد (خليل الرفاعي وخليل شوقي كمثال وكانا في المديرية) ومن المغنين (فاضل عواد مثلا وكان في آليات السكك التي كانت قائمة وسط الدور مقابل المحطة العالمية) ومن الشعراء الثوريين (زاهد محمد أنموذجا)، ومن أشهر المناضلين في عموم العراق كان للسكك حصة الأسد ومنهم (عبد عباس المفرجي) رحمه الله سائق قطار الموت الشهير ووالد الصحفي علاء المفرجي. السكك مجتمع كان له تقاليده وسننه وتراثه السياسي والشعبي، وله ظرفاؤه ونوادره أيضا ولكننا قد لانذكر الأسماء صراحة لقرب العهد بالنادرة أو لأن شخوصها لازالوا أحياء كما في هذه النادرة أمد الله في عمرهم. نذكر أن أحد مهندسي السكك كان جالسا في مكتبه بالشالجية وتصادف أن يكون معه زميل له في شأن من شؤون العمل فدخل عليهما عامل بسيط من عمالنا القدماء (ذكرهم الله بالخير فقد كانوا بسطاء ولكنهم في وقت الشدة أبطالا) يبدو أنه لم يكن يعرف أيا من المهندسين بشخصه فسأل :

- أستاد ... أنته المهندس (شريف)؟

وكان المهندس شريف في مكان آخر من الدائرة فأجابه هذا:

- آني مو مهندس شريف.

فقال العامل:

- بس أستاد... كالولي هناه يكعد مهندس شريف.

فرد المهندس:

- مو كتلك ياعيني آني مو مهندس شريف....

ثم ألتفت الى زميله يشهده :

- يابه بشرفك آني شريف؟

فرد زميله الظريف فورا :

-لا بشريف أنته مو شريف!

رستميات

الرستمية، تأريخيا وجغرافيا، هي الأرض التي تضم معسكر الرشيد والزعفرانية والرستمية الحالية(عدا جهة سعيدة) ، وقتلى معركة الرستمية الأنجليز في الحرب العالمية الأولى كانت قبورهم واضحة الى عهد قريب داخل معسكر الرشيد ثم أندثرت سوى شواهد متساقطة هنا وهناك أخذت معظمها أقوام الحواسم التي أنحدرت الى معسكر الرشيد مع سقوط بغداد. هذه الشذرات من بين شذرات أخرى أستلها مما سجلته من نوادر الرستميين المعاصرة وأنا أحددهم بالسكان المسجلين أهلهم فيها في تعداد ١٩٥٧,

كاريكاتير بلا ضوابط :

لي صديق متعدد المواهب أحجب أسمه حاليا في هذه النشرة، شاعر فصيح اللسان ورسام كاريكاتير لوذعي وناقد ثاقب النظر، وقد هجر هذا كله منذ سنين طويلة لما كان يكابده من تضييق في النشر فلما كان عام ٢٠٠٣ هاله عدد الصحف التي أخذت تصدر وتتكاثر كالأميبيا في الوطن فقال في نفسه حان الحين وتاق لنفض الغبار عن مواهبه وضخ الدماء في عبقريته وتسخين مابرد من قريحته غير أنه أختار رسم الكاريكاتير دون غيره ليعلن عن عودته فرتب رسما يصور جنديا أمريكيا يخرج من دورة المياه ورجلا يحمل على زنده علامة UN الأمم المتحدة يحمل أدوات تنظيف ينتظر خروجه لينظف المكان بعده. ذهب بالرسم الى أول جريدة أستدل على مكتبها. أعتذروا له عن النشر وقالوا له ((هذا أحتقار للأمم المتحدة)) وطيبوا خاطره ووعدوه خيرا في المرة القادمة.

عقل (ضمد):

عندما جاءت موجة الهجرة الأولى الصغرى الى الرستمية أوائل الخمسينيات نزل بعضهم في ناحية من نواحيها ، ولكنهم ولأنهم كانوا لايزالون يألفون وجود الحمير والأبقار والماعز، وفي حالة أو حالتين الجاموس، الى جوارهم، ولاتزال أنوفهم تحن الى رائحة الحظائر عمد سعيدو الحظ منهم، لأن نزولهم كان في أركان المنازل، الى تربية المواشي والدواجن وبناء الحظائر قرب البيوت بالتدريج خلال سنوات، ولكم أن تتصوروا المشهد عند الغروب عندما تعود هذه القطعان الى أماكنها ونصبح محاصرين بالسمفونية الرعوية من نهيق وخوار ونباح حتى تهدأ مع حلول الليل. كان يوجد في ذلك الوقت من بين المهاجرين (ضمد ....)، لقد زورت الأسم وهذه النقاط مكان كلمة نابية أصبحت جزءاً من أسمه، وقد أحتلت وأنا أكتب هذه الشذرة حيلا لأوصلها الى القارئ فلم تنفعني حيلة ووجدتها فضيحة مهما جملتها. الحقيقة أن هذا الرجل كان عاقلا حكيما ولكن الناس في المجتمع القروي يتسقطون الهنات فأذا ندت من أحدهم كلمة أو بادرة معيبة ألحقوها بأسمه لقبا لاينتزع ويصير لقبا لذريته يرثونه كابرا عن كابر. كل ما في الأمر أن أحد جيرانه تصادف مروره خلف البيت فسمعه كأنه يخاطب مؤنثا ((ها.....)) فلم يمض أسبوع حتى ألغي أسم والده تماما وحلت الكلمة محله. لم يعبأ هو كثيرا بهذا التغيير الراديكالي وقال أنه أنما كان يومها يخاطب عنزة خرجت من الحظيرة ودخلت الدار. قصده رجل ليسأله في شأن أمرأة قريبة له كانت تبذل نفسها ((حته عله الشوك والشجر)) مايفعل بها هل يقتلها؟ فوبخه (ضمد) وقال له ((أتريد أتثبت أعله نفسك بويه؟ ..)) فقام الرجل من عنده وهو يهز رأسه متعجبا لرجاحة عقل (ضمد)!

ذاكرة العدسة

شواهد طواها النسيان

الجندي المجهول القديم .. هل يعود الى ساحة الفردوس ؟

علي الكناني

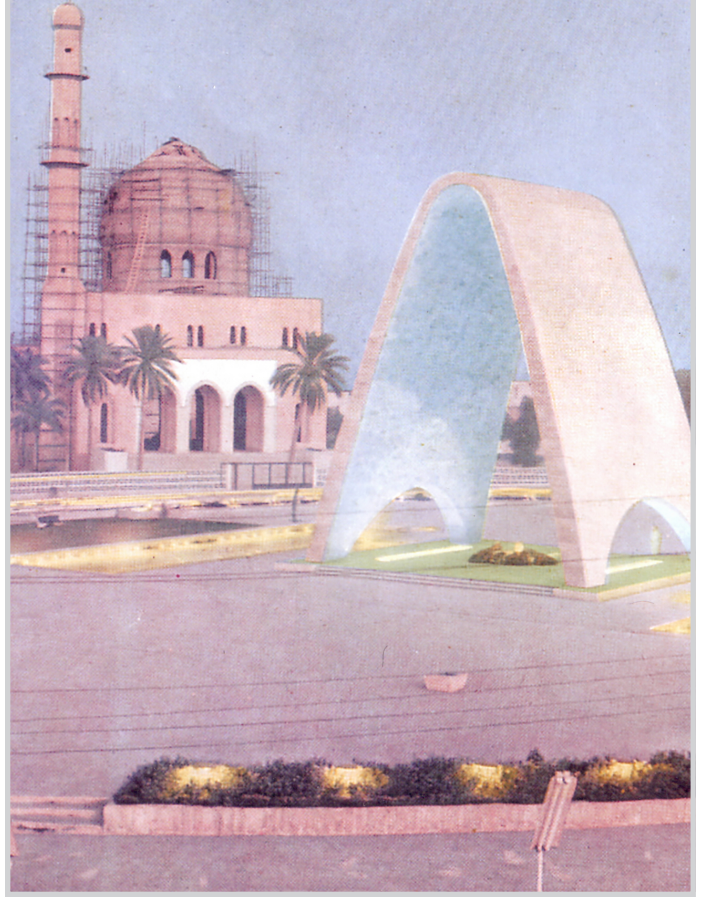

هذه اللقطة الفوتوغرافية بعدسة احد المصورين الهواة، وهي تمثل نصب الجندي المجهول القديم الذي بني عام ١٩٥٩ بعد قيام ثورة ١٩٥٨ وقد توسط ساحة الفردوس ببغداد، ويظهر في الصورة جامع الشهيد القريب منه وكان قيد الانجاز .

ولعل ما حصل لهذا الصرح الرائع في الثمانينيات بعد ان كان يمثل مرحلة مهمة من تاريخ العراق الحديث، وشهد الكثير من الفعاليات الوطنية والاحتفالية،وزيارة الكثير من الوفود العربية والاجنبية، قد اثار مشاعر الحزن والالم في نفوس الكثيرين وذلك عندما اقدمت السلطات الحكومية آنذاك على هدمه وازالته من جذوره، فكم تمنينا بقاء هذا النصب الحضاري في مكانه كجزء من الارث الوطني لبلدنا العزيز، وقد سرنا خبر نشر قبل ايام باتخاذ قرار باعادة هذا النصب الى مكانه السابق وفي نفس الساحة من خلال الاتصال بالفنان الرائد رفعت الجادرجي الذي قام بتنفيذه في عام ١٩٥٩، مع الابقاء على النصب الرسمي الموجود في حي التشريع، فهل سنرى عودة هذا الصرح الفني التاريخي الجميل الذي طواه النسيان الى الوجود مرة اخرى ليشمخ من جديد الى جانب صروح وشواهد حضارية وتاريخية ما زلنا نفخر بها ؟